'كارين هيوز' وثقافة الصفقات!

05-10-2005

ومني المشروع بخسارة فادحة، لأنه تعامل مع الإنسان العربي والمسلم كما يتعامل مع الآلة، وظن أن ضخ الأكاذيب والتضليل بشكل مكثف ومركز، كفيل بملك سمعه وبصره، ونزع الكراهية من قلبه، وغفل الوزير الكارثة أنه لو لم يكره الأمريكان البريطانيين لما تحرروا من هيمنتهم واستعمارهم، مع أنه يجمعهم دين ولغة وجنس واحد!. ربما اعتقد صناع القرار في البنتاغون أن الزمن زمن تكنلوجيا الآلة الحربية، وكل شيء يخضع للزر، أو التحكم عن بعد

بقلم خالد حسن

إلى الآن لم تتمكن الولايات المتحدة من إحداث أي اختراق يذكر في جدار العداء والكراهية الذي صنعته سياساتها الرعناء في أعقاب هجمات أيلول. وكثير من كتابها ومفكريها وساستها وقساوستها يبثون مقدارا كبيرا من الكراهية والحقد على من يخالفهم، حتى أضحت الكراهية شرطا أساسا في المواطنة والولاء لأمريكا.

في البدء تُرك الأمر إلى حد كبير لرجل عسكري يميني حاقد، وزير الدفاع رامسفيلد، لوضع إستراتيجية لما أسموه بالتأثير الإستراتيجي، الذي يستهدف تغيير الطباع الذهنية وإحداث ثورة نفسية في أوساط الشعوب المسلمة، لصالح القبول بالدين الأمريكي الذي يسمونه "الحرية"، حرية التصرف وإعادة ترتيب الأوضاع والمناهج في منطقة ظلت مستعصية على الذوبان والخنوع للمستمر قرونا ولا تزال، وإن كان تحت مسمى تجسير الهوة بين العالم الإسلامي والغرب، وتسويق صورة أقل قسوة وأكثر انسيابا عن السلوك الأمريكي.

ومني المشروع بخسارة فادحة، لأنه تعامل مع الإنسان العربي والمسلم كما يتعامل مع الآلة، وظن أن ضخ الأكاذيب والتضليل بشكل مكثف ومركز، كفيل بملك سمعه وبصره، ونزع الكراهية من قلبه، وغفل الوزير الكارثة أنه لو لم يكره الأمريكان البريطانيين لما تحرروا من هيمنتهم واستعمارهم، مع أنه يجمعهم دين ولغة وجنس واحد!. ربما اعتقد صناع القرار في البنتاغون أن الزمن زمن تكنلوجيا الآلة الحربية، وكل شيء يخضع للزر، أو التحكم عن بعد.

وبهذا جردوا الإنسان المسلم من مخزونه الإستراتيجي العقدي ومن تاريخه وحضارته وجغرافيته، وأبعد من ذلك وأخطر، تعاملوا مع هذا الكيان بمادية مجردة مقيتة، كأنه ظاهرة طبيعية، لا تملك إرادة حرة ولا وعيا ولا ذاكرة حية، ولا تتأثر بالتجارب التي تجري عليها.

وتبين لهم مما رأوه في العراق وفي أفغانستان وقبلهما في فلسطين، وأيضا في المظاهرات المليونية التي جابت عواصم الدول المعتدية المناهضة للحرب ولثقافة الكراهية، أن هذا الكيان يختلف عما تصوروه وتخيلوه، وأنه يملك من قوة الوعي والثقة بالنفس والكرامة ما يمكنه من تحدي نظرية "الصدمة والترويع".

ولعل إدارة بوش استدركت الأمر، وسحبت ملف العلاقة مع العالم الإسلامي وتحسين صورة أمريكا من يد البنتاغون، وسلمته إلى الدبلوماسية، فعين الرئيس الأمريكي أحد أقرب أصدقائه، كارين هيوز، نائبة وزيرة الخارجية الأميركية، مكلفة بتحسين العلاقة مع العالم الإسلامي،وزارت مؤخرا بعض دول المنطقة ومنها مصر والسعودية، علها تظفر ببعض الود، لكن بالعقلية نفسها التي طبعت وحكمت الذهنية الأمريكية السياسية في التعامل مع الإنسان المسلم، والتي تستلهم مفرداتها من ثقافة استعباد الناس وإخضاعهم، فحزمة النفط وقداسة المصالح الحيوية يصغر أمامها كل شيء، رغم أن أحرار أمريكا الأوائل حاربوا هذه الثقافة حتى تحقق لهم الاستقلال.

والأسوأ في حملات العلاقات العامة هذه، أنها أقرب إلى الصفقات منها إلى محاولة فهم أبعاد وخلفيات العداء والكراهية، وهذا رغم الأصوات السياسية من داخل الحزبين والأكاديمية والدبلوماسية، المنادية بأن السياسات وليست قيم الحرية والديمقراطية كما يراد للأمر تسويقه، هي صانعة بؤر التوتر والعنف والتطرف. وهذا ما يمكن استنتاجه من زيارتها إلى مصر مثلا، فكأن القضية اختزلت في دعم التوجهات الديمقراطية للنظم، ودعم التوجهات الإصلاحية، فبلد كمصر اختزل تاريخه وحضارته وقواه ومستقبله في إدارة أزمة نظام حكم يحتضر يخضع لهيمنة عائلة آل مبارك، وماذا عن حالة الاحتقان العارمة التي تجتاح الشعب جراء سياسات أمريكا

المستخفة بالعقول والتاريخ والدين والمستقبل، وماذا عن دعم واشنطن للحكم الفردي الذي جثم على صدر الأمة المصرية أكثر من ثلاثة عقود؟ أليس لها مطالب، أليست كيانا تاريخيا وإنسانيا تعي ما يدور حولها؟.

ماذا تتوقع إدارة بوش من الشعوب العربية وهي تتعامل مع قضاياهم ومطالبهم بمنطق مقايضة مستفز وجارح للكرامة الإنسانية؟.

للعودة للأعلى